المصدر: الاهرام
التاريخ : ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٢

تحديات وتساؤلات فى عصر العولمة

موسم الأعياد سهرة جديدة مع صديقى الصدوق، كعادتنا دائما. دخل علي من الباب اليمين لغرفة المكتب. تصورت أننا سوف نستعيد معاني عام ٢٠٠٢، ويبدو أنني أشرت الى ذلك بشكل ما ولكن صديقى أمسك بزمام الأمر منذ اللحظة الأولى..

صاح قائلا: «سنه إيه وبتاع ايه»؟!»

إنظر الى حكاية مجلدات تقرير العراق عن التسلح التى قدمها يوم ٧ ديسمبر الى مجلس الأمن كان المفروض أن تتولى لجنة التفتيش برئاسة هانس بليكس ومحمد البرادعى دراسة التقرير ثم التقدم بنتائج هذه الدراسة النقدية، ومعها نص التقرير، الى مجلس الأمن كانت هذه هى المحطة الأولى. ثم جاءت المحطة الثانية مجلس الأمن يقرر تسلم التقرير بدلا من لجنة التفتيش. ويتم تسليم التقرير لمجلس الأمن، وهى المحطة الثالثة .ثم تاتى المحطة الرابعة الأعضاء الدائمون الخمس يقررون أن تنحصر قراءة التقرير عليهم، نظرا لإمتلاكهم السلاح النووى دون الأعضاء العشر غير الدائمين الذين يسكتون على مضض .وأخيرا المحطة الخامسة رئيس مجلس الأمن هذا الشهر، سفير كولومبيا يقرر منفردا، وفى نصف الليل، دون استشارة أحد من أعضاء المجلس، ولا الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة.

يقرر أن يسلم التقرير الى الحكومة الأمريكية إذ أن لديها تسهيلات كبيرة، يبدو أنها فريدة (كذا) لترجمة التقرى، بسرعة، ثم توزيعه على الأعضاء الدائمين الأربع المتبقين ثم محطة سادسة: يقال إن جميع الأعضاء الدائمين تسلموا خلاصة من التقرير أعدتها الأجهزة الأمريكية، بينما لم يتسلم الأمين العام ولا الأعضاء العشر غير الدائمين نسختهم التى كانت على شكل ملخص، أو خلاصة أو غير ذلك من المعانى.

أليست هذه مشكلة تثير التساؤل؟ أين الأمين العام؟ أين مجلس الأمن؟ أين الجمعية العامة للأمم المتحدة؟ أين «المجتمع الدولى»؟ أين الشرعية الدولية؟

الجميع فى قلب الليل يضلون الطريق أو يمسكون عن الكلام. الأعضاء الأربع لمجلس الأمن فى سكون، الأمين العام يعبر عن عدم رضائه لأسلوب تسليم التقرير. الرأى العام والاعلام فى قطاعات واسعة من العالم يحتج ويندد، لكن الأمر الواقع يؤكد أن أمم العالم غير متحدة وأن النظام لا يمت الى العالمية

ما قولك ما قول الناس فيما يجرى فى قلب ما يقولون أنه عالم واحد، بل وقرية كبيرة واحدة؟..»

■ صاحبى بدأ الحديث يتساؤل، وكأنه لا ينتظر الاجابة: «الكل يقول أن الأمر الواقع حقيقة جلل. وأن الناس يجب أن يتقبلوه، وليس فقط أن يتعاملوا معه أي أننا فى طريق مسدود: لا نملك الخيار ولا نستطيع العمل. أى أن الانبطاح طواعية خيرا من التدمير لو رفعنا رأسنا فهل هذه حقيقة سنة الأمم والشعوب فى مطلع العام الجديد؟ أم أننا نتفرد بهذا الجو الشاحب؟.. أو بعبارة أخرى: هل طريق المستقبل. مستقبل البشرية فى أرجاء المعمورة مسدود حقيقة، أم أن هناك ثغرات؟..»

□ قلت: غريب ياأخى هذا التساؤل أقدم لك المرة تلو الأخرى وثائق ملف الأمل فى مختلف الدوائر الحضارية والثقافية المحيطة بنا، فى آسيا فى المقام الأول، وكذا فى أوروبا وأمريكا اللاتينية، لكن يبدو أن الجو الشاحب حول منطقتنا العربية والشرق أوسطية أمره أمر السحابة السوداء، وإن كان القياس مع الفارق. السحابة السوداء يقولون أنها بمثابة قضاء وقدر، مادام أن قش الأرز هو الجانى. أما دائرتنا والدائرة المحيطة فأسباب الاختناق فيها واضح لا خلاف عليه.

البرازيل، تركيا ثم كوريا...

أحداث وتقلبات لم تكن فى الحسبان تنبثق على طول وعرض المعمورة.

هذا راجب طيب أردوجان يعيد حزب العدل والتنمية الى النصر فى أنتخابات تركيا يوم ٣ نوفمبر ٢٠٠٢ يؤكد بحذر عودة تركيا الى خصوصيتها الحضارية التاريخية وتمسكها برسالة أتاتورك التحديثية. وفى مقدمة هذا كله وثبة الصين فى لحظة المؤتمر السادس عشر للحزب الشيوعى الصينى القائد

تلعب الدور الأول فى توجيه دفة دائرة آسيا المحيط الهادى بعيدا عن الاستفزاز ثم وبعد أيام تعقد اتفاقيتين مع دول جنوبى شرقى آسيا العشر فى اجتماع قمة آسيان فى بنوم بنه عاصمة كمبوديا .الاتفاقية الأولى تؤكد رغبة الدول العشر فى التعايش السلمى بعيدا عن المواجهات مع الصين فى دائرة بحر الصين الجنوبية الشاسعة حيث منابع البترول الهائلة المرتقبة ،أما الاتفاقية الثانية بين الصين والدول العشر، فهى تؤسس دائرة تجارة حرة واسعة تجمع ١.٥ بليون نسمة يبلغ رقم انتاجهما الداخلى تريليونى دولار.

العالم فى تحرك هائل لاتكاد نستشعره، دعنا من تفهم آسيانه وإدراك مغزاه..

هذه أخيرا وليس آخرا انتخابات الرئاسة فى كوريا الجنوبية وتنتخب مرشح الدعوة الى وحدة دولتى كوريا قاطعنى صديقى وعلى وجهه علامات الدهشة والاستغراب: «تحركات هائلة؟.. نعم سمعت بها ولم يفتنى الأمر، ولكن الربط بين هذه الظواهر غير وارد. عندنا نسمع ليل نهار، نتفرج على شاشات التلفزة، نطالع التصريحات الرنانة كلها تتواكب لتصب فى جو دائرة الحصار. انا حقيقة لا أفهم اذا كانت أمور الدنيا معروفة، فلماذا لايربطون بيتها؟ لماذا الاصرار على انه ليس فى الامكان خير مما هو قائم؟»

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

□ أستوقفك لحظة قبل الدخول في ساحة الأسباب والمغزى والمستقبل المرتقب - انى لاأوافقك القول بأننا على علم بهذا كله، تعال نتساءل: ماهى نسبة معالم صياغة العالم الجديد على شاشات التلفزة عندنا؟ أعنى: نسبتها بالنسبة لأمواج الاحتفاليات ليل نهار في مناسبات تليق ولاتليق؟ ماالنسبة بين هذه الأحداث وسيل التصريحات المطمئنة الواعدة؟ حتى ان الفائر القليل الثمين الذى يتيحه «رئيس التحرير» فى مجال الداخل والدائرة المحيطة بفضل الاعلامي العلم حمدى قنديل يكاد يبدو نشازا.

نعم، تتحسن الأمور الى حد ملحوظ فى الصحافة المكتوبة، اذ تتزايد نسبة الكتابات الجادة تسعى الي التنقيب عماهو مغاير وجديد، ولكنها في نهاية الأمر لاتستطيع ان تتغلب على اختراق اضواء الشاشة الملونة لبيوتنا وعقولنا ومشاعرنا ووجداننا ليل نهار.

لو وافقتنى على ذلك، لأصبح التساؤل بطبيعة الأمر هو: ماالسبب في ذلك ترى؟

السبب واضح يستشعره الناس بدرجات متفاوتة من الوضوح والغموض، السبب هوأن الساحة الأوسع من الطلائع المصرية والعربية تعيش في اطار حتمية استمرارالهيمنة الغربية على العالم، ومن ثم حتمية البحث عن الحل أوالمخرج بتقليد هذا العالم ومحاولة اللحاق بمستواه من الترقى وكأن لاعالم الا هو، وإلا فلا مفر من القبول بدور المواكب على أحسن حال، دعنا من التبعية وعلي وجه دعاتها ابتسامة عريضة هذه الأيام.

السحابة السوداء تنقشع

■ عاد صاحبى يتساءل: «لابأس من حديث التجديد، وان كان كل جديد ليس تجديدا بالضرورة، وقد يكون «الجديد» تقليدا ذخيلا للأقوى، وليس ابداعا ينمو من الداخل.

أتساءل أفليس كل تجديد، أو كلما هو جديد فى عالم اليوم يأتى نتيجة لنفس الأسباب؟ أفلا نعيش فى «قرية واحدة»؟.

□ أنت تتحدث الآن في الصميم، نعم، فان منطق «القرية الواحدة» يفرض علينا ان نقبل التجانس والتطابق بين أحوال كل وحدات هذه القرية الواحدة، علي تنوع مجتمعاتها وقومياتها، دعنا من ثقافاتها وحضاراتها.

واللافت للأنظار هنا ان التفسير الاقتصادى للتاريخ الذى ادانه وتدينه أيدولوجية الرأسمالية الليبرالية وكذا الاحتكارية وترى فيه جمودا وتخلفا للفكر الماركسى، أقول من الغريب ان هذا التفسير يستعمله اليوم عدد من الأعلام المرموقة فى الغرب، إذ يجتهدون في متابعة الجديد المتفجر.

خذ مثلا البرازيل وتركيا. فى حالة البرازيل ندرك أن برنامج الرئيس الجديد سوف يعنى بتنمية تتسم بالعدالة الاجتماعية تجاه جماهير الشعب العاملة والأمر يكاد يكون نفسه فى تركيا، اذ يركز المحللون على أن سبب افلاس الأحزاب الحاكمة حتى الآن هو تدهور الاقتصاد وانتشار الفساد، أى ان معيار نظام الحكم الجديد سيكون مدى تصحيحه للمسار الاقتصادى.

ولاشك ان تصحيح المسار الاقتصادى، هنا وهناك، أمر ملح واجب. ولكنه لايكاد يفى بتفسير أسباب عمق التحول، ففى حالة البرازيل جاء الرئيس الجديد لولا رمزالعودة غالبية الشعب من الهوامش الى المركز، من الظلمات الى النور، من التغييب الى الوجود.

وغالبية الشعب فى البرازيل لم تنخرط الا بنسبة قليلة فى دائرة التمتع بطيبات الدنيا كما تقدمها فلسفة السوق.

وهذا مايؤكده تمسك جماهير الشعب فى البرازيل بالفنون التى تعبر عن الوجدان العميق، المقهورالمعذب، وكذا المتباهى بانتصاراته وصخب الموسيقى والرقص، كما هوالحال فى ظاهرة الكرنفال فى ريو جانيرا، وكذا خاصة فى عواصم ومراكز المجتمعات الأصيلة فى شمالى شرق البرازيل ، وكذا مناطق الداخل حول حوض نهرالأمازون - أى البرازيل التاريخي -قبل غزو البرتغال لنصف القارة التى اصبحت اليوم البرازيل.

إن العامل المشترك فى كلتا الحالتين يعود الى ساحة الوعى والوجدان والارادة، أى الى اصرار كل من الأمتين على التمسك باستقلاليتهما وخصوصيتهما فى مواجهة شراسة الحصارالنمطى الذى يعمل علي تطويعها لكي تقبل بأن تكون حقيقة مجرد وحدة بين الوحدات المتجانسة للقرية الواحدة.

وكذا الأمر بشكل ساطع فى تحرك اليابان وكوريا وكذا ألمانيا

عالم جديد

أنور عبدالملك

حول ريادة الصين.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الخصوصية أولا...

■ قال صاحبي: «هل افهم من كلامك أن ماتسميه الخصوصية، أو بتعبير أبسط الشخصية الثقافية والاجتماعية القومية، لايقل تأثيرها عن تأثير العامل الاقتصادى، مادمت إنت وأنا من الذين منحوا هذا العامل مكانة مركزية فى صياغة أمور الدنيا وتطور العالم؟

□ قلت: لقد أصبت. وهنا لابد من فتح ملف الخصوصية فى علاقتها بحركة العالم، وليس فقط من حيث اهميتها فى الصياغة التاريخية.

كان مفهوم الخصوصية الذى قمنا بصياغته سنة ١٩٦٢ و١٩٧٠ يدا فى يد مع كوكبة محدودة من المفكرين فى دائرتى المركز والجنوب كان يبدو انذاك وكأنه بدعة أو تفسير شاذ، وعلى أحسن الأحوال كان العديد من انصار فكر الحداثة يرون فى مفهوم الخصوصية عائقا لابد من تهميشه بل والاطاحة به توكيدا لمركزية «القرية الواحدة» وما إن دخلت هذه القرية الواحدة المزعومة الى دائرة الزوابع حتى بدأ السؤال يتصاعد، فمن ناحية طالبت الولايات المتحدة الأمريكية بحقها فى توجيه الأمور بعد ان أكدت مكانتها الفريدة فى تملك أدوات الهيمنة بعد ١٩٩١ - وقد فعلت ذلك ومازالت على أساس موضوعى متين الا وهو تأكيد الصياغة التاريخية لخصوصيتها فى مجالات الاقتصاد والحياة الاجتماعية وكذا العلوم والإستراتيجية وبالتالى الفعالية السياسية.

وفى مقابل ذلك ظهرت تحركات لم تكن فى الحسبان فى دائرة الجنوب أو فى القطاع غير المركزى لدائرة الدول الصناعية المتقدمة (اليابان، ألمانيا) - هذا بعد عصر الثورات الوطنية التحريرية فى أسيا والعالم العربى والإسلامى وأمريكا اللاتينية وإفريقيا، وهو الذى لعبت فيه شعوب أمتنا دورا مركزيا رائدا من ١٩٤٦ حتى ١٩٧٣. وبطبيعة الأمر كانت هذه الساحة هى التى قدمت ومازالت تقدم الدليل على أهمية عنصر الخصوصية. الخصوصية أى التمايز بدلا من الحصر النمطى، المسيرات المتنوعة بل والمتباينة بدلا من المسار الأوحد للتاريخ الذى ادعوا أنه انتهى. أى وبالنسبة لما طرحناه من تساؤل: إمكانية بل وضرورة مراجعة النظرة المحدودة للقطاع الأوسع من طلائعنا وكذا فهمها لما يحدث من تجديد فى العالم برغم الكابوس المهيمن على منطقتنا.

ونود بهذه المناسبة أن نلفت النظر إلى بدايات تحول مهم فى مجال الفكر السياسى الأمريكى منذ عام ٢٠٠٠. كما تمثلت البداية فى كتاب جماعى بالغ الأهمية بإشراف لورانس هاريسون، مؤلف «تخلف النمو بوصفه حالة ذهنية» مع صاموئيل هانتينجتون صاحب نظرية «صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمى». والكتاب الجديد الخطير فى رأينا صدر تحت عنوان «إن الثقافة مهمة - أو: كيف تصوغ القيم عملية التقدم البشرى» (نيويورك ٢٠٠٠). يجمع هذا الكتاب الخطير ٢٢ بحثا لعدد من أهم العاملين فى مجال الفكر الاجتماعى والسياسى فى الولايات المتحدة على ساحة واسعة من التنوع - بل والتباين الفكرى. ويخلص الكتاب إلى أن عامل الثقافة التى يدركها الباحثون بوصفها ثمرة لتطور الصياغة التاريخية لمختلف قطاعات العالم، يلعب دورا رئيسيا فى صياغة تقدم البشرية، أى أنه بالتالى يلعب دورا مركزيا فى محاولة فهم الجديد فى مسيرة هذا التقدم. الجديد، وليس فقط تكرار أو إجترار الماضى. الجديد بوصفه المغاير. الجديد الذى يضىء طريق التقدم. والغريب فى الأمر حقيقة أن هذا الكتاب الخطير لم يحظ إلا باهتمام محدود فى الفكر المصرى والعربى، ربما لأن نظرية «صدام الحضارات» استغرقت جماعة واسعة فى قطاعى الفكر والعمل المعنى بإمكانيات اللحاق بالعالم المتقدم، بعيدا عن جهاد ومصاعب شق طرق جديدة. وربما أن الأوان لنفكر بجدية بنقل هذا الكتاب المهم الخطير إلى القارىء، عبر مثلا المشروع القومى للترجمة رحب الصدر.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

■ قال صاحبى منتقدا مستنكرا: «وما علاقة هذا كله ياأخى بتهديد الحرب ضد «العراق، ثم وبإسم «محور الشر» كما يقولون إلى إيران ثم الدائرة العربية كلها من سوريا إلى جنوب السودان، ومن الخليج الى ليبيا؟..

□ ليس هناك حلول سحرية بطبيعة الأمر.

■ دعنا نتساءل: ماذا يعنى هذا كله بالنسبة لواجب الوقوف فى وجه الحرب لتأمين مستقبل مجتمعنا وأمتنا؟ عند هذا الحد نود أن نؤكد أن هذا الموقف يجعل لزاما علينا أن نستعيد إرادتنا وإصرارنا ومبادرتنا.

●● يجب أن ندرك أولا من نحن أى يجب أن نتساءل: ماهى الوحدات المجتمعية - السياسية القادرة على الاستمرارية، دون غيرها؟ وعندنا بدءا من خلاصة الفكر الإجتماعي أن هذه الوحدات هى المجتمعات القومية، اى الأمم على وجه التحديد والحصر، دون الكيانات المرحلية التى لاتملك أمر نفسها. ومن هنا كانت دعوتنا إلى إجتماع نواة المجتمعات القومية، أى الأمم الثابتة فى الدائرة العربية والإسلامية فى منطقتنا لإقرار تحرك عربى شرق اوسطى موحد بعيدا بعيدا عن أوهام التضامن الشكلى يجب أن ندرك أن هذا التحرك يجب أن يتم فى المقام الأول مع مجموعة القوى الصاعدة الفاعلة من أجل عالم متعدد الأقطاب والمراكز والأنظمة فى المقام الأول وهى القوى القادرة على الصمود لوضع حد لسياسة الفوضى والعنف والحرب التى تهدد مستقبل شعوب العالم.

وخلاصة الأمر أنه يجب تهميش رؤى ومناهج تقليد ما يمكن من مظاهر عالم الهيمنة المتقدم، منهج التبعية والإنبطاح.

●● ثم يجب أن نعطى الأولوية المطلقة للعمل مع قوى التجديد على ساحة العالم، على أن يتم ذلك فى تفاعل عضوى متصل مع تشييد أركان رؤية فكرية مستقبلية لاتخجل من تأكيد أن الخصوصية هي المدخل الأوحد والأمثل إلى العالمية، أى الى المشاركة فى صياغة عالم جديد.

■ **قال صاحبى:**

«من قال إننا وحدنا؟ هذا بابا الكنيسة الكاثوليكية فى روما، اكبر زعيم روحى فى العالم، يندد فى رسالته السنوية - وقدميوم ١٨ ديسمبر- بمفهوم الحرب الوقائية (الاستباقية) يؤكد أن الموقف العالمى يجب ألا ينبع من إرادة شخص واحد أو جماعة» و «أن مسألة النظام فى الشئون العالمية، وهى ايضا مسألة السلام بمفهومه الصحيح، لايمكن أن تتناسى القضايا المرتبطة بالمبادىء الاخلاقية». السامية يرفع صوته يخاطب الضمير العالمى.

«لاتوجد أية منطقة اخرى اكثر من الموقف الماسوى فى الشرق الأوسط والأرض المقدسة نستشعر ضرورة استعمال السلطة السياسية بطريقة صحيحة اكثر منها». فى وقت عصيب رسالة عيدالميلاد المجيد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية